منطق الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في دراسة اللغة

كريمة أوشيش[1]
مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية / الجزائر
k.aouchiche@crstdla.dz, ALGÉRIE

فتيحة خلوت[2]
المجمع الجزائري للغة العربية / الجزائر
fatihakht@yahoo.fr

تاريخ التسلم: 2019/09/17 تاريخ القبول: 2020/01/20

الملخص:

نسعى في هذا المقال إلى إبراز المنطق العلمي النظري والتطبيقي الذي تميّز به عالمنا الجليل الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح "رحمه الله" في ميدان دراسة اللغة؛ هذه الظاهرة المركبة التي ينبغي في نظره أن تدرس من جوانب متعددة وبإشراك الاختصاصيين المختلفي الآفاق، وضرورة اللجوء إلى التخصصات العلمية لدراسة هذه اللغة دراسة موضوعية تامة.

الكلمات المفاتيح: عبد الرحمان الحاج صالح - النظرية الخليلية الحديثة - دراسة اللغة - المنطق الرياضي - تعدد التخصصات.

Résumé:

Cet article a pour but de souligner les aspects logico-mathématiques qui caractérisent l'analyse du langage du point de vue du professeur Abderrahman Hadj Salah. En effet, cet éminent scientifique a toujours insisté sur la nécessité d'impliquer des scientifiques venant de plusieurs horizons pour analyser la langue de manière scientifique.

Mots clés: Abderrahman Hadj Salah - théorie néo-khalilienne - analyse de la langue - approche logico-mathématique - pluridisciplinarité.

Abstract:

This article aims to highlight the logico-mathematical aspects that characterize the analysis of language from the point of view of Professor Abderrahmane Hadj Salah. Indeed, this eminent scientist has always emphasized the importance of involving scientists working in different fields to analyze language in a scientific way.

Keywords: Abderrahman Hadj Salah - neo-khalilian theory - logico-mathematical approach language analysis - multidisciplinarity.

مقدمة:

يعد الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح أحد أعلام الفكر العربي البارزين، كما يُعد بشهادة جميع أهل الاختصاص أبّ اللسانيات في الجزائر وفي الوطن العربي؛ فقد أسس النظرية الخليلية الحديثة (وهي عبارة عن دراسة معمّقة لأعمال الخليل وتلميذه سيبويه)، وأمضى أكثر من سبع عشرة سنة من البحث والعمل المتواصلين ليخرجها إلى الوجود في كتابه "اللّسانيات العربية واللّسانيات العامة".[1]

إن ما يميّز الشخصية الفذّة للأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح هو تكوينه العلمي؛ فمعروف عنه من خلال سيرته العلمية اهتمامه بدراسة الطب، ودراسة الرياضيات، وانعكاس توجهه العلمي هذا على الظاهرة التي اهتم بدراستها وهي اللغة؛ وذلك بعد مسار طويل في دراسة اللغة العربية بدأه بالدروس المسائية التي كان يتلقاها في المدرسة الخاصة التابعة لجمعية العلماء المسلمين، ثم دراسته في كلية اللغة العربية بالأزهر القاهرة، وأخيرا دراسته للسانيات الحديثة بجامعات فرنسا.

إن هذا التكوين العلمي هو ما شكّل المنطلق الذي جعل مسار هذا العلاّمة متميّزا من حيث الأفكار التي جاء بها والمشاريع التي عكف على إنجازها وناضل من أجل ترسيخها في أرض الواقع، رغم الصعوبات والعراقيل التي واجهته في ذلك، ومن بينها خلق فضاءات للبحث المشترك المتعدد التخصصات لدراسة اللغة دراسة علمية موضوعية.

إن سرّ اهتمام الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بدراسة التراث اللغوي العربي وتعمّقه في مفاهيم علم اللسان العربي، يكمن في اِكتشافه لأهمية الأعمال التي قام بها عباقرة من أمثال الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه وما تركوه "من أفكار علمية ومنهجية تحليلية رياضية عجيبة سبقا بذلك زمانهما وهي جديرة بأن ينظر فيها من جديد وتستثمر بالفعل"[2].

1 مناداته لدراسة اللغة دراسة علمية

إذا كانت اللغة نظام من الأدلة المتواضع عليها، فينبغي أن تدرس دراسة علمية محضة مثلما تدرس غيرها من الظواهر والأنظمة المتواضع عليها. وبهذا الصدد، يقول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح: "إن الدراسة العلمية للغة لا مفرّ منها فلا فرق بينها وبين أيّ علم آخر ومنها النحو العلمي وهي مهمة الباحث المتخصّص في اللغة ونتائجها تهم بالضرورة مؤلف الطرائق التعليمية فيها"[3].

ومن هذا المنظور، تفطنّ الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح إلى أهمية أعمال النحاة الأولين أمثال الخليل وسيبويه وأبي علي الفارسي وابن جني الذين وضعوا مدوّنة من القواعد المحرّرة المستخرجة من كلام العرب الموثوق في عربيّتهم والتي يضبط على أساسها الاستعمال اليومي للغة العربية، هذا العمل الذي يعتبر حسب الأستاذ مرجع من الضوابط لم يسبق أن جمع وألف من ذي قبل، مميزا في ذلك البحوث والدراسات التي تنجز في ميدان النحو النظري العلمي، من تلك التي تجرى في ميدان النحو التعليمي الذي يخصّ اكتساب الملكة اللغوية التي يدخل فيها تعليم اللغة وتوظيفها في مختلف أحوال الخطاب[4]. فالنحو العلمي هو نحو نظري يهدف إلى وصف وتفسير النظام اللغوي الذي تخضع

له اللغة العربية كنحو الخليل وسيبويه. أما النحو التعليمي فيخص النحو الذي يجب أن نعلمه للتلاميذ لغرض الاستعمال الفعلي للغة في واقع الخطاب.

إنّ أهم ما يعنيه هذا التمييز بين النحويين، هو الاعتراف بوجود معرفة نظرية للغة يكتسبها النحوي شعوريا بتحليل النصوص واستنباط القواعد منها في مقابل معرفة ضمنية لا شعورية تكتسب بالمنشأ والوراثة، وعن طريق التعليم كذلك بشرط أن لا يطغى الجانب النظري على التطبيقي، بل يكون بالقدر الذي يجعل المتعلّم يكتسب القدرة على توظيفه في كلامه، وأن لا يكتفى بحفظ القواعد ومعرفتها معرفة نظرية، ففي تعليم اللغات ظاهرة مهمة جدا وهي: "سهولة تحصيل الملكة الخاصة بسلامة اللغة في إطار خطابي محض لا يهتم فيه بسلامة التعبير وحدها (...) على هذا يكون تعليم اللغة من الجانب النحوي ومن الجانب التبليغي معًا من جهة"[5]، و "تكون غايته إكساب مهارة لغوية خطابية أو بعبارة أخرى بصنع قدرة غير شعورية على إنشاء الكلام السليم بحسب ما تقتضيه قوانين الخطاب"[5]. وعليه يرى الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح ضرورة تجنب التحديدات النظرية البحتة في تعليم اللغة لأنه "لا يعتمد أبدا على النظر في اللغة (كيفما كان) لاكتساب المتعلم الملكة التي تنقصه ولكن يجوز أن يحصل هذا النظر بعد تحصيلها"[6].

2 اعتماد مقاييس علمية لدراسة اللغة

حاول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح من خلال كلّ أعماله أن يبحث في المنهجية العلمية التي سلكها نحاة الصدر الأول لدراسة كلام العرب بإمعان النظر في "الطرق والمناهج التي اعتمدوها لتحويل ما نقلوه ودونوه من معطيات لغوية إلى معقول أي نظام من الأصول والحدود المترابطة ليستطيع العقل بذلك أن يُدرك كيفية انتظامها وأسباب وجودها على ما هي عليه"[7]؛ حيث استطاع أن يبيّن الأسباب التي حملت أصحابها على دراسة اللغة دراسة علمية، وأيضا الوسائل التي استعملوها ومنهجهم "في تدوينهم للغة وتقنينهم لها"[8]، وهي مذكورة في النص الآتي:

"(...) الموضوعية المطلقة. وهو الخضوع التام للسماع ومشاهدة الوقائع اللغوية ثمّ تطبيقهم لمبدأ الأكثرية في الباب أو في الاستعمال وتطبيقهم لها في توثيق الرواية. ثمّ استنباط الأصول وتوسيعهم القياس إلى قياس رياضي –عند الخليل خاصة- وتفسيرهم الشامل لكل شذوذ عن هذه الأصول"[9].

3 طريقته في قراءة التراث النحوي العربي

يرى الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح أن البحوث التي تتناول ما تركه العلماء العرب القدامى في علوم اللسان في حاجة ماسة إلى إعادة النظر فيها بتجديدها وتطويرها وكذا قراءة التراث اللغوي العربي باعتماد معايير علمية دقيقة؛ "فللنحاة العرب تعريفات كثيرة إلا أن بعضها كانت صريحة تأتي كتعريفات بكل معنى الكلمة وبعضها الآخر نجده في ضمن تفسيراتهم واستدلالاتهم خاصة"[10].

وأما عن المعايير التي ينبغي أن تعتمد في مثل هذه البحوث فهي كما يقول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح "تخصّ قبل كل شيء أصول البحث عن المصادر الموثوقة والتي لها الأولوية على غيرها في الاعتماد عليها من جهة وأصول البحث عن معاني الألفاظ التي قصدها القائل في نص معين من جهة أخرى"[11]. وهي:

"1- ضرورة الرجوع إلى ما قاله القائل هو نفسه أي إلى نص قوله والامتناع البات من الاكتفاء في ذلك بما روي عنه مع وجود النص (...).

2- ضرورة الرجوع إلى أكثر من مصدر في كل ما يُروى ويجب أن تنتمي كلها إلى عنصر واحد ولم تكن بعضها منقولة عن بعض (...).

3- ضرورة التمييز بين المصادر (...) واختيار ما وقع عليه الإجماع على توثيقه (...)"[12].

وفيما يخص الفهم لما قصده صاحب النص يرى الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح أنه من الضروري:

"4- تقديم النظر في النص الأصلي على التأويلات والشروح التي تلت هذا النص (...).

5- التصفح الكامل للنص مهما بلغ طوله قصد حصر الألفاظ الهامَّة التي يكثر ورودها مع جميع سياقاتها التي وردت فيها (...).

6- اللجوء بعد هذا التصفح إلى طريقة خاصة لاكتشاف المعاني المقصودة في النص (...).

7- الاعتداد المستمر بعامل الزمان وتأثيره في تحول التصور العلمي والمفاهيم (...).

8- النظر في جميع النظريات اللسانية الحديثة وتَمْحيصها (...)"[13].

باعتماد هذه المقاييس انتهج الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح "طريقة تحليلية دلالية" مكّنته من تحليل النصوص التراثية بطريقة رياضية علمية؛ تشخيصية للمعاني واستكشافية للمعنى المقصود في نص معين، ومن المناهج التي يمكن أن تصل بنا إلى اكتشاف المعنى المقصود، حسب الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح، "الإحصاء في النص الواحد لكل العبارات أو القِطَع من الخطاب التي لها نفس المدلول وتكون فيها مفردة نسميها $م_0$ (وهي التي نبحث عن معناها) تتعاقب مع عدة مفردات أخرى (كأن تقوم مقامها تراكيب أخرى) $م_1$، $م_2$، ... $م_ع$. فإذا كان من بين هذه المفردات مفردة يكون لها معنى قد يتفق بأحد معاني المفردة التي تحملها المفردة $م_0$ ونسميه س فيمكن أن نفترض أنّ هذا المعنى هو الذي يقصده المتكلم في استعماله لـ $م_0$ في هذه السياقات"[14].

وللتثبت من ذلك يقول الأستاذ: "علينا أن نبرهن على أن جميع العبارات: $ع_0$، $ع_1$... $ع_2$ ونسميها : "سياقات مكتنفة" وهي متساوية في المعنى ويرجع ذلك إلى التبيين بأنّ كل هذه السياقات لها نفس المرجع وأنها تنتمي إلى مجموعة واحدة من السياقات. وهو ما نسميه بالسياق المرجعي. أما اكتشافنا للمفردات المتضادة والأجناس وما تحتها فيمكن لذلك أن نلجأ إلى نفس الموازاة بين العبارات (كما يقول علماؤنا القدامى: حمل شيء على شيء وهو ما يسمى في الرياضيات الحديثة بالـ: *Bijection*). ومثل ذلك $م_0$ و$م_1$ فإذا كانا متضادّين في المعنى فلا يتحقق ذلك إلا إذا كان وفقط إذا كان يظهران في عبارتين متكافئتين من حيث السياق ولا يختلفان إلا بوجود النفي في أحدهما"[15].

4 تأسيسه للنظرية الخليلية الحديثة

بفضل قراءته للتراث العربي القديم وباستغلال أدوات البحث العلمي، أسس الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح النظرية الخليلية الحديثة، وهي نظرية لغوية استمدت أصولها ومفاهيمها من نظرية

النحو العربي القديمة التي أنشأها النحاة الأولون وهم الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه وابن جنّي وغيرهم ممّن شافهوا فصحاء العرب؛ فهي نظرية بنوية تفريعية تحاول الكشف عن البنى العامة التي تتفرّع عنها البنى الجزئية التي يستعملها المتكلم بالفعل في كلامه.

يرى صاحب هذه النظرية أنه لابد من الرجوع إلى ما تركه العلماء الفطاحل الذين عاشوا في الصدر الأول من الإسلام حتى القرن الرابع الهجري، وتفهّم ما قالوه وما أثبتوه من الحقائق العلمية لإحياء المفاهيم الأصيلة والمناهج العلمية التي توصل إليها أقدم النحاة العرب لفهم الأسرار اللغوية من جهة، ومن جهة أخرى تفحّص المسائل اللّغوية التي أثبتوها لإجراء المقارنة بين نظرية النحاة العرب الأولين وبين النظريات اللسانية الحديثة.

إن النحو العربي، كما وضعه هؤلاء النحاة، ينبني على تصوّر رياضي يمكن أن نحلّل به اللغة تحليلا دقيقا؛ وقد كرّس الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح جزءا كبيرا من وقته لاستخراج المفاهيم التي يقوم عليها هذا التصور، وصياغة البنى اللغوية في شكل حدود إجرائية، وقضّى بعد ذلك حياته العلمية في التعريف بمفاهيم ومبادئ النظرية الخليلية الحديثة وطرح هذا النموذج اللساني للفحص والتطبيق في مجالات متعدّدة مثل التعليميات اللغوية والعلاج الآلي للغة وعلم أمراض الكلام.

وبالفعل حاولت مجموعة من الباحثين في تحليلهم للسان العربي استغلال الكثير من المفاهيم والمبادئ التي جاءت بها النظرية الخليلية الحديثة، وأهمها مفهوم الحدّ؛ وهو المقياس أو المثال المقاس عليه للتعريف بالوحدات في كل المستويات اللغوية؛ وذلك بالرجوع إلى ما انطلق منه النحاة العرب الأولون في تحليلهم للّغة وهو أقلّ ما يمكن أن يُنطق به من الكلام وبه فائدة، واعتمدوا في ذلك على مجموعة من المبادئ منها :

- مبدأ الانفصال والابتداء؛ وهو الوقف على قطعة من الكلام ؛
- مبدأ الأصل والفرع؛ فميّزوا الأصول عن فروعها بعملية التحويل الذي يكون إمّا بالزيادة أو الحذف، وبيّنوا أيضا أنّ عملية التحويل لا تتّم إلا على مثال سابق مقيس على كلام العرب، وهو ما يسمّى بالقياس أو الحدّ ؛
- مفهوما الباب والقياس؛ الباب هو مجموع العناصر اللغوية المتشابهة التي تشترك في صيغة واحدة. أما القياس فهو عملية استنباطية لاستخراج المثال يكون بين الوحدات اللغوية التي تنتمي إلى نفس المجموعة ولها نفس البنية و الوظيفة؛ بمعنى أنها تدخل في باب واحد.

هذا إلى جانب جملة من المفاهيم التي بني عليها النحو العربي كلّه، كمفهوم الانفراد والانطلاق في التحليل من هذا المفهوم (مفهوم اللفظة)، ومفهوم الموضع، والعلامة العدمية، ومفهوم العامل، ومفهوم البناء والوصل؛ فبتطبيق هذه المفاهيم يتبيّن أن التحليل البنوي للكلام يقع على مراتب ومستويات، ولكل مستوى حد أو مثال خاص، ويسقط المستوى الأدنى على الأعلى، فيتكون الحديث.

ولقد أثبتت الكثير من الدراسات والبحوث المنجزة[16] إمكانية تطبيق هذه المفاهيم في تحليل اللغات البشرية وعدم اقتصارها على اللغة العربية، ونذكر على سبيل المثال الدراسة التي تناولت التحليل اللساني للغة الإنجليزية على أساس الحدود الإجرائية[17] باستغلال مفاهيم (الأصل والفرع والباب

والقياس والمثال أو الحد) ؛ وكذا تحديد التراكيب الفعلية البسيطة والمركّبة في هذه اللغة تحديدا صوريا؛ حيث توصّلت هاته الدراسة إلى وضع تصوّر إجرائي للحدود المنتجة للتراكيب الفعلية في اللغة الإنجليزية على أساس العمليات التحويلية التي تسمح بتفريع التراكيب الفعلية من بعضها البعض ووفق ترتيبها من الأصول إلى الفروع.

وبالإضافة إلى مجال اللسانيات النّظرية، عرفت النّظريّة الخليليّة الحديثة أوّل تطبيقاتها في مجال تعليم اللّغات عامة والعربيّة بصفة خاصة؛ فكثيرا ما دعى الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح إلى الاعتناء بتعليم العربيّة وفق الأساليب الحديثة في التعليم والاجتهاد في إيجاد طريقة لتعليم النحو بما يتماشى مع مستجدات الحياة العصرية وحاجيات المتعلمين التعبيرية وعدم الاقتصار على أحوال معينة تخص -مثلا- الخطاب الأدبي وحده، ومن أهم الأفكار التي طرحها الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح للبحث في هذا المجال:

- الإقرار بوجود أكثر من مستوى في التعبير؛ مستوى التعبير الترتيلي المتكلّف الذي انحصر فيه تعليم العربية واتخذ المعيار المدرسي الوحيد، ومستوى التعبير الاسترسالي العفوي غير المتكلّف الذي استخفّه العرب في الزمان الذي كانت تكتسب الملكة بالسليقة، وضرورة تكييف البرامج والكتب اللغوية المدرسية بمراعاة هذين المستويين من التعبير؛ وذلك بإدخال عدد من قواعد التعبير الاسترسالي في المناهج، وخصوصا في كيفية الأداء الصوتي؛ كأن يدرج في البرنامج الأداء الصوتي كدرس تطبيقي قائم بذاته، ويعتمد في ذلك على الأوصاف العلمية لمخارج الحروف والظواهر الصوتية العربية، ويراعى فيه الأداء السليم والأداء الفصيح العفوي المستخفّ الذي يجب اعتماده في التخاطب اليومي.
- التمييز بين النحو العلمي النظري والنحو التعليمي[18].

هذه هي الأفكار، وغيرها كثير، التي راهن الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح على قدرة طلبته لاستثمارها وتطبيقها قصد إيجاد الحلول للمشاكل التي يطرحها تعليم العربية في المدرسة الجزائرية، فكان المنطلق لذلك البحث في البرامج المسطّرة لتعليم العربية وكذا الكتب التعليمية المخصصة لذلك، وقد أنجزت في سبيل ذلك جملة من الدراسات التي أجمعت كلها على وجود اختلالات في تخطيط المحتويات اللغوية وترتيبها وكيفية عرضها على المتعّلمين وترسيخها في أذهانهم.

فبالنسبة للمحتويات التعليمية اللغوية، سجلت كل الدراسات أنها تعاني غياب التوزيع المنتظم والمحكم للعناصر الواردة فيها وهذا نظرا لاستناد واضعيها على النظرة الإفرادية والتصنيفية في عرض الوحدات اللغوية وهي منفردة ومعزول كل منها عن الآخر. ويرجع السبب في ذلك إلى الابتعاد عن تطبيق أهم المبادئ التي بني عليها النحو العربي وهو مبدأ الأصل والفرع الذي ينبغي اعتماده في تخطيط المحتويات وترتيبها وعرضها على المتعلم حتى لا يشعر بأية غرابة في الانتقال من درس إلى درس ومن ظاهرة لغوية إلى أخرى، بل يشعر أنّ هناك تنظيما محكما لكيفية عرض هذه الظواهر، فمن الأجدى والأحسن في التعليم اللغوي تناول الموضوعات المتعلقة ببعضها البعض (الأصول

والفروع) متكاملة عند تعليمها وتدريسها كتقديم درس المفرد والمثنى ثم درس الجموع بأنواعه مباشرة كون المفرد هو الأصل والمثنى والجمع فرعان عنه يحصلان بزيادة على المفرد. كما يمكن استغلال مفهوم الأصل والفرع ومفهوم الموضع والعلامة العدمية في العملية الترسيخية؛ وذلك باستخراج البنية الأصل من نص القراءة الذي سبق أن اطلع عليه المتعلم في حصة الإدراك لتبنى عليها مختلف البنى بالحفاظ على نفس البنية وتغيير المادة؛ أي على شكل تقابل بين الأصول والفروع، ثم يدعى التلاميذ إلى إجراء عملية التحويل إما طرديا بالانتقال من الأصل إلى الفرع؛ وذلك بزيادة العناصر اللغوية على الأصل، وإما عكسيا بالانتقال من الفرع إلى الأصل؛ أي برد الفروع إلى الأصل؛ كأن يقوموا بتحويل الاسم المعرف بـ (ال) إلى الاسم المعرّف بالإضافة أو العكس تحويل الاسم المعرف بالإضافة إلى الاسم المعرف بـ (ال)، وذلك على النحو الآتي مثلا:

- غاب المعلم اليوم. - غاب معلم الرياضيات اليوم.

- سافر مدير الشركة البارحة. - سافر المدير البارحة.

وعلى هذا النحو عمدت بعض الدراسات إلى اقتراح شبكة من التدريبات التي يتوصل المتعلم بإجرائها إلى اكتشاف البنية اللغوية، ويدرك ضمنيا أنّ كل قرينة من القرائن التي تدخل على النواة تحتل موضعا داخل الحد الإجرائي للاسم، ويكتشف ظاهرة التعاقب الموجودة بين التعريف والتنوين والإضافة؛ إذ لا يمكن أن تجتمع هذه العلامات بعضها ببعض في اسم واحد وفي آن واحد. فهذا النوع من التدريبات يمكن أن نصل بالمتعلم إلى مرحلة يصبح فيها قادرا على صنع جمل جديدة قياسا على الأنماط التي حذقها بحيث لا يذكر المعلم القاعدة اللغوية التي يبنى عليها التمرين، بل تبقى موجودة فقط ضمن اهتماماته، وهكذا يمارس التلميذ ممارسة فعلية جميع البنى اللغوية الأساسية الصوتية والنحوية والصرفية، وقد يتوصل إلى إحكام التصرف فيها إذا أحس بأنّ بنى اللغة هي أصول وفروع تبنى على الأصول.

وعلى المنوال نفسه واستنادا إلى التحليل البنوي الذي تخضع له النظرية الخليلية الحديثة توصلت العديد من البحوث إلى وضع شبكات لتقييم الكفاءة اللغوية عند المتعلم وتصنيف الأخطاء التي يرتكبها متعلمو اللغة العربية وتحليلها.

إنّ استغلال مفهوم الحدّ الإجرائي أو الحدود الإجرائية قد تجاوز مجال التعليميات اللغوية ليتناول في ميدان اللسانيات العيادية ؛ حيث اجتهد الباحثون في تطبيقها في تحليل الاختلالات التي تحدث في كلام المصابين بالحبسة تحديدا في مستوى الانسجام النحوي خاصة ما يتعلق بعملية التحويل من الأصل إلى الفروع بالنسبة لحبسة بروكا، ومن الفروع إلى الأصل بالنسبة لحبسة فرنيكي. وفي المجال نفسه تم استغلال حدّ أو مثال البنية التركيبية في تحديد الاختلالات التي تظهر في مستوى العلاقات البنوية التي تربط بين أجزاء التركيب بالنسبة لحبسة بروكا، والترتيب العشوائي للوحدات اللغوية في البنية التركيبية بالنسبة لحبسة فرنيكي. ولا شكّ أنّ هذا النوع من الدراسات يساعد الأخصائي الإكلينيكي على إدراك طبيعة الاختلال في كلام المصاب بالحبسة، وإعادة تأهيله. أما في ميدان

اللسانيات الحاسوبية أو العلاج الآلي للغة فقد حاول بعض الباحثين وضع أنظمة للتحليل الصرفي التفريعي والتركيبي بالارتكاز على الصياغة الصورية الحدود الإجرائية.

وما ينبغي الإشارة إليه في هذا السياق أنّ هذه الدراسات على الرغم من أنها أثبتت فاعلية تطبيق الكثير من المفاهيم والمبادئ التي جاءت بها النظرية الخليلية الحديثة خاصة منها مفهوم الحد الإجرائي، مثلما ذكرنا، وفي عدة مجالات إلاّ أنها بقيت محدودة ولم تستطع أن تتحدى الصعوبات التي واجهتها. ففي ميدان التعليمية اللغوية كل البحوث المنجزة إلى حد الآن تمس جانبا واحدا من جوانب التعليم اللغوي (المحتويات التعليمية، كيفية تقديم الدرس اللغوي، التدريبات اللغوية، السندات التعليمية، تحليل الأخطاء اللغوية،...)، وبالتالي كانت الحلول المقترحة مجزّءة تجزؤ موضوعات هذه البحوث لا تعالج إشكالية تعليم العربية في بلادنا؛ ففيما يخص مثلا تعليم بعض المحتويات اللغوية وتعلّمها كان من الأفيد والأنجع إنجاز كتاب تعليمي حديث يتضمن النحو الوظيفي القائم على نحو الخليل وسيبويه مع الأخذ بعين الاعتبار المبادئ والبيداغوجيات الحديثة في تعليم اللغات وتعلّمها، هذا الكتاب الذي سيعد بعد ذلك المرجع الذي يرجع إليه كل من معدّي المناهج التعليمية والكتب المدرسية . أما في ميدان اللسانيات العيادية فقد واجه الباحثون صعوبات كثيرة في تطبيق النموذج اللساني الخليلي الذي يخص اللغة الفصحى في تحليل كلام المصابين بالحبسة الناطقين بالعامية، فالأمر يقتضي نوعا من التصرف والتكييف للكلام العامي باستغلال الأدوات المنهجية التي تنادي بها النظرية الخليلية الحديثة وهي القياس والباب؛ لأنّ دراسة الاختلالات اللغوية لدى هؤلاء المصابين يتطلب تشخيص وتأهيل بمراعاة خصوصيات اللغة العربية الفصحى والعامية، وكذا التفاعلات اللغوية التي تحدث في كلامهم. أما في ميدان العلاج الآلي للغة، فمن بين ما يحتاج إليه الحاسوبي لصياغة اللغة العربية صياغة صورية هو مدونة للغة العربية موصوفة وفق الحدود الإجرائية للنظرية الخليلية الحديثة.

5 مناداته بضرورة اللجوء إلى التخصصات العلمية لدراسة اللغة دراسة موضوعية تامة

كثيرا ما نادى أستاذنا إلى إشراك التخصصات المختلفة في دراسة الظواهر اللغوية إذ يقول في هذا الشأن "وفيما يخص البحوث في ظواهر اللغة فإنها لا ينفرد بها ميدان التعليم في زماننا هذا بل هناك بحوث تتناول الآن مشاكل العلاج الآلي للغة وبحوث أخرى تتعلق باضطرابات الكلام وآفاته وكلها مدينة بما تأتي به علوم اللسان من معلومات جديدة"[19]. فتناول اللغة العربية والمشاكل التي يطرحه تعليمها وتعلّمها، حسب أستاذنا، يستوجب بحثا متواصلا تشترك في إنجازه عدة تخصصات تدمج في منظومة واحدة قصد النهوض بطرق تعليم العربية وجعلها مواكبة لطرائق تعليم اللغات الأجنبية التي خطت أشواطا كبيرة في ميدان التعليميات اللغوية. ولتجسيد هذه الفكرة، سعى الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح إلى خلق فضاءات علمية تجمع بين باحثين وخبراء متعددي التخصصات للعمل في مشاريع بحث موحّدة تشترك كلها في دراسة اللغة. وفي هذا الإطار يجدر بنا أن نشيد بما ناضل من أجله منذ الستينيات في سبيل إرساء قواعد مثل هذه البحوث؛ حيث كان وراء:

إنشاء معهد اللسانيات والصوتيات

أنشئ معهد اللسانيات والصوتيات في 1964 بمقتضى المرسوم الوزاري رقم 30-66 الصادر في 11 أفريل 1964، "وكان لهذا المعهد دورا كبيرا في النهوض باللغة العربية بفضل الأبحاث التي كانت تنجز في مجالات التعليم والمصطلح والمعالجة الحاسوبية والدراسة والصوتية إلخ"[20].

2.5 إنشاء مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية

أنشئ هذا المركز في سنة 1991 بالمرسوم التنفيذي رقم 477-91، خلفا لمعهد العلوم اللسانية والصوتية ولوحدة البحث في علوم اللسان والتبليغ اللغوي. يشمل هذا المركز الذي أصبح فيما بعد مؤسسة عمومية ذات طابع علمي وتكنولوجي في 31 ديسمبر 2003، أقسام بحث متخصّصة في علم تعليم العربية واللغات المقارن، في اللسانيات والمعجميات والمصطلحات العربية وعلم الترجمة، في العلاج الآلي للكلام المنطوق وعلم أمراض الكلام، وفي الحاسوبيات اللسانية أو العلاج الآلي للغة. تتكفل هذه الأقسام حسب التخصص بإنجاز مشاريع بحث في المجالات الخاصة بعلوم اللسان وتقنياته المطبقة على اللغة العربية قصد ترقيتها على المستويين التعليمي والتكنولوجي.

3.5 إنشاء دبلوم في الدراسات العليا (ماجستير علوم اللسان والتبليغ اللغوي)

تمّ فتح تكوين في مستوى الماجستير حول إشكالية البحث المتعدد التخصصات في اللغة العربية موجّه للطلبة المتحصلين على شهادة الليسانس في التخصصات اللّغوية والعلمية، ويكلّل هذا التكوين بتحضير رسالة علمية في فرع من فروع علوم اللسان والتبليغ اللغوي. وفي هذا الإطار نوقشت الكثير من الرسائل العلمية وتخرّج عدد كبير من الطلبة الذين تفرغوا فيما بعد إما للبحث العلمي أو للتدريس.

4.5 إنشاء مجلة اللسانيات

يعود إصدار هذه المجلة إلى معهد العلوم اللسانية والصوتية ثمّ إلى مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، وهي مجلة متخصّصة تهتم بنشر الأبحاث العلمية في اللسان البشري وتكنولوجياته باللغات الثلاث: العربية والفرنسية والإنجليزية.

6 مشاريعه العلمية اللغوية

لقد سعى الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح لتجسيد الفكرة التي كثيرا ما حثّ عليها وهي ضرورة التمييز بين اللغة كوضع واللغة كاستعمال؛ لأنّ لكل جانب من هذين الجانبين قوانين خاصة، فالقوانين الخاصة ببنى اللغة غير القوانين التي يخضع لها استعمال هذه البنى لتحقيق غرض التبليغ والإفادة، فأهم شيء هو أن نعلم التلميذ اللغة الشائعة الاستعمال على ألسنة الناس في المشافهة والتحرير ونترك اللغة النادرة التي تؤدي المعنى نفسه لمن أراد التخصص في علم اللغة في مستوى التعليم العالي. حيث يقول: "إن النظرة إلى اللغة (...) ذات جانبين: اللغة في حد ذاتها كنظام منسجم يتألّف أكثره من الأدلة المتواضع عليها عندهم وما تحققه كأداة للتواصل والتخاطب وهو الاستعمال لهذا الغرض"[28]. فإذا أخذنا على سبيل المثال المادة اللغوية التي تقدم للتلاميذ في المدرسة نجد أنها لا تستجيب لما تقتضيه أحوال الخطاب لاحتوائها على المفردات الكثيرة التي لا يحتاج إليها الطفل وحتى

الراشد وفي الوقت نفسه غياب لأسماء المسميات الحديثة من الحياة العامة؛ وذلك لأنّ ما يتعلمه الأطفال في المدرسة من الألفاظ التي تدل على مفاهيم ضرورية للحياة هو شيء قليل، فيبحث الطفل عنها في لغة أخرى ويستنقص بذلك العربية الفصحى بل وينفر منها لحشوها ويزدريها لنقائصها"[21].

ويرجع السبب في ذلك كما يقول الأستاذ إلى الخلط الذي يقع فيه واضعوا البرامج والكتب اللغوية المدرسية بين ما يرجع إلى وضع اللغة كنظام من الأدلة المتواضع عليها لغرض التبليغ، وبين الاستعمال كتأدية الناطقين لهذا الوضع في واقع الخطاب، ولا شك أنهم في ذلك لا يستعملون كل النظام اللغوي، بل جزءا منه فقط حسب مقتضيات أحوال الخطاب التي تستلزمها الحياة اليومية. "فالمتعلم لا يحتاج إلى كل المفردات الموجودة في الوضع للتعبير عن آرائه بل تكفيه الألفاظ التي تدل على المفاهيم العادية وبعض المفاهيم العلمية والفنية أو الحضارية مما تقتضيه الحياة العصرية"[22].

ومن مشاريعه العلمية اللغوية التي جسد فيها فكرة أنّ اللغة وضع واستعمال:

الرصيد اللغوي المغاربي والعربي

وضع هذا الرصيد سنة 1967 لتلاميذ دول المغرب العربي مستوى الطور الأوّل من التعليم الابتدائي، ويشمل المفردات الوظيفية التي تساعد التلميذ على التبليغ والتواصل وفق مقتضيات أحوال الخطاب، وكان الهدف من هذا الرصيد هو تقريب الفصحى من العامية وذلك بتبني العديد من المفردات العامية التي لها أصل فصيح، وكذا التعبير عمّا جد من مفاهيم حضارية لا يوجد لها مقابلا في العربية، وبعدها اكتسى هذا المشروع صبغة واسعة حيث أصبح مشروعا عربيا بعدما تبنته المنظّمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وعمّمته على كافة البلدان العربية في الفترة الممتدة من 1976 إلى 1986[23].

2.6 مشروع الذخيرة اللغوية العربية

يعد مشروع الذخيرة اللغوية العربية مصدرا للبحث في اللغة المستعملة وسياقاتها من خلال مدونة شاملة للنصوص التراثية والحديثة وما لا يزال ينتج في جميع الميادين وكل المعلومات والمعارف التي تساعد المعلم والمتعلم معا في ممارستهما التعليمية والتعلّمية. إنّ مشروع الذخيرة اللغوية العربية هو أهم مشروع عمل الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح على تحقيقه لإيمانه بضرورة وصل البحث في اللغة وطرق تعليمها بما هو حاصل من تطور في ميدان التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال.

أما الفائدة التي نحصل عليها من الذخيرة، حسب الأستاذ، "فهي متعددة منها: أن المعاجم الحالية التي تخص اللغة العربية والمحررة في البلدان العربية تعتمد أساسا على المعاجم القديمة، أما الذخيرة، كمجموعة نصوص، فميزتها الأساسية أنها تخص اللغة المستعملة بالفعل من أقدم العصور إلى زمننا هذا، ومن جهة أخرى سيكون تحت تصرف أي باحث كل المعطيات التي تهمه ويمكن أن يتحصل في الحين على كل الألفاظ التي يطلبها في قائمة شاملة تغطي كل المجال المفهومي الذي يختاره"[24].

الإحالات:

1- ينظر:

Hadj Salah, A. Linguistique arabe et linguistique générale : essai de méthodologie et d'épistémologie du 'ilm al-'Arabiyya, Publications de l'Académie algérienne de la langue arabe, Editions ENAG, Alger 2011, tomes 1 et 2.

2- عبد الرحمن الحاج صالح، "أنماط الصياغة اللغوية الحاسوبية والنظرية الخليلية الحديثة"، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 6، 2007، ص 10.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، "النحو العلمي والنحو التعليمي وضرورة التمييز بينهما"، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 17، 2013، ص 25.

4- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5- المرجع نفسه، ص 13.

6- عبد الرحمن الحاج صالح، "أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية"، عبد الرحمن الحاج صالح، "أثر اللسانيات في النهوض بمدرسي اللغة العربية"، مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتية، 1973-1974، العدد 4، ص 71.

7- عبد الرحمن الحاج صالح، "التعريف العلمي وماهيته عند سيبويه وأتباعه"، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 14، 2011، ص 9.

8- عبد الرحمن الحاج صالح، "النحو العلمي والنحو التعليمي وضرورة التمييز بينهما"، ص 16.

9- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

10- عبد الرحمن الحاج صالح، "التعريف العلمي وماهيته عند سيبويه وأتباعه"، ص 9.

11- عبد الرحمن الحاج صالح، "تحديث أصول البحث في التراث اللغوي العلمي العربي"، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 4، 2006، ص 13-14.

12- المرجع نفسه، ص 14-15.

13- المرجع نفسه، ص 15-16.

14- المرجع نفسه، ص 28.

15- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

16- لمزيد من التفصيل ينظر: أوشيش كريمة، "منهج النظرية الخليلية الحديثة في تحليل اللسان"، "الآداب واللغات" مجلة علمية متخصصة، في الدراسات اللغوية، تصدرها كلية الآداب واللغات بجامعة الجزائر 2، سبتمبر 2015، العدد 12.

17- ينظر:

KHELOUT, F. Al-lisaniyyat. « Arabic Syntactic Structures. A linguistic Study According to the Neo-Khalilian Theory ». Revue des sciences et technologies du langage. CRSTDLA. Alger. Numéro 21. 2015. (ISSN : 111-4393). pp. 111-146.

18- ينظر الصفحة الأولى من هذا المقال.

19- عبد الرحمن الحاج صالح، "النحو العلمي والنحو التعليمي وضرورة التمييز بينهما"، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 17، 2013، هامش رقم 14، ص 28.

20- محمّد يحياتن، "دور معهد العلوم اللسانية (جامعة الجزائر) في ترقية اللغة العربية (1964-1986)" مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2005، العدد، 13.

21- عبد الرحمن الحاج صالح، "دور اتحاد المجامع اللغوية العربية وتحديث العمل المجمعي"، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 20-21، 2014، ص 22.

22- عبد الرحمن الحاج صالح، الرصيد اللغوي للطفل العربي وأهمية الاهتمام بمدى استجابته لحاجاته في العصر الحاضر، ص 34 و36، مداخلة ألقيت في الملتقى الوطني حول الكتاب المدرسي-واقع وآفاق، يومي 24 و25 نوفمبر 2007 بالجزائر العاصمة.

23- عبد الرحمن الحاج صالح، "أثر اللسانيات في النهوض بمدرسي اللغة العربية"، ص 44.

24- محمّد يحياتن، "دور معهد العلوم اللسانية (جامعة الجزائر) في ترقية اللغة العربية (1964-1986)".

قائمة المراجع

أ) باللغة العربية

- أوشيش كريمة، "منهج النظرية الخليلية الحديثة في تحليل اللسان"، "الآداب واللغات" مجلة علمية متخصصة، في الدراسات اللغوية، تصدرها كلية الآداب واللغات بجامعة الجزائر 2، سبتمبر 2015، العدد 12.

- عبد الرحمن الحاج صالح، "أنماط الصياغة اللغوية الحاسوبية والنظرية الخليلية الحديثة"، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 6، 2007.

- ـــــ، "النحو العلمي والنحو التعليمي وضرورة التمييز بينهما"، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 17، 2013.

- ـــــ، "أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية"، مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتية، العدد 4، 1973-1974.

- ـــــ، "التعريف العلمي وماهيته عند سيبويه وأتباعه"، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 14، 2011.

- ـــــ، "النحو العلمي والنحو التعليمي وضرورة التمييز بينهما"، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 17، 2013.

- ـــــ، "المعجم التاريخي وشروط إنجازه"، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 5، 2007.

- ـــــ، "تحديث أصول البحث في التراث اللغوي العلمي العربي"، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 4، 2006.

- عبلة عيساوي، حوار مع الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح، نشر في المساء بعنوان "الذخيرة العربية: من مشروع إلى مؤسسة تابعة لجامعة الدول العربية" بتاريخ: 18 فبراير 2009.
- محمّد يحياتن، "دور معهد العلوم اللسانية (جامعة الجزائر) في ترقية اللغة العربية (1964-1986)" مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2005، العدد. 13.

ب) باللغة الأجنبية

Hadj Salah, A. Linguistique arabe et linguistique générale : essai de méthodologie et d'épistémologie du 'ilm al-'Arabiyya, publications de l'Académie algérienne de la langue arabe, éditions ENG, Alger 2011, tomes 1, 2.

KHELOUT, F. Al-lisaniyyat. « Arabic Syntactic Structures. A linguistic Study According to the Neo-Khalilian Theory ». Revue des sciences et technologies du langage. CRSTDLA. Alger. Numéro 21. 2015. (ISSN : 111-4393). pp. 111-146.